آفاق الجمال

محمد أحمد الراشد

بسم الله الرحمن الرحيم

. . .

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م

. . .

. . .

" لوحة الغلاف الفنية اقترفتها يد المؤلف "



الله تعالى رحيم ، ووزعَ بين المخلوقات أثراً قليلاً من رحمته ، فهي بها تتراحم ، حتى لتُبعد الفرسُ حافرها عن وليدها لئلا يتأذى ، بدافع تلك الرحمة ، فإن الله جميل سبحانه ، يحب الجمال ، وفي النفس الإنسانية أثر من ذلك ، فهي تعشق الحُسن واللطائف والألوان ، وتستروح للمنظر المتناسب ، والشيء المقدر الموزون ، وتنفر من الفوضى ، والصخب ، ومنكرات الأشكال ، وما خرج عن الاستقامة ، حتى جعل الله تعالى من أعظم المنن التي امتن بها علينا : إتاحة الاستمتاع بالجمال فقال : { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . }(النحل:٥/ ٦) .

☐ قال القرطبي : (وجمال الأنعام والدواب من جمال خلقه ، وهو مرئي بالأبصار موافق للبصائر . ومن جمالها كثرتها وقول الناس إذا رأوها : هذه نَعَم فلان .

قال السُدي . ولأنها إذا راحتَ : توفّر حسنها وعَظُم شأنها وتعلقت القلوب بها ، لأنها إذ ذاك أعظم ما تكون أسنمة وضروعا . قاله قتادة .

ولهذا المعنى قُدّم الرواح على السراح ، لتكامل دَرّها وسرور النفس بها إذ ذاك ، والله أعلم .

وروى أشهب عن مالك قال : يقول الله عز وجل { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ } وذلك في المواشي حين تروح إلى المرعى وتسرح عليه ، والرواح رجوعها بالعشي من المرعى ، والسراح بالغداة ، تقول : سَرَحتُ الإبل أسرحها سَرْحاً وسروحاً : إذا غدوت بها إلى المرعى فخليتها . وسَرَحت هي ، المتعدي واللازم واحد) [١] .

---

(١) تفسير القرطبي ٤٨/١٠ .

ومن هذا الجمال في الخِلقة قولـه تعالى من بعد : { وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ } (النحل:٨) .

قال القرطبي (والزينة : مايُتزين بـه ، وهذا الجمال والتزيين وإن كان من متاع الدنيا فقد أذن الله سبحانه لعباده فيه.)[٢] .

ومن هذا الجمال الحلية المذكورة في قولـه تعالى { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا }(النحل:١٤).

قال القرطبي : (فالحِلية حق ، وهي نِحلة الله تعالى لآدم وولده) ثم قال : (امتن الله سبحانه على الرجال والنساء امتناناً عاماً بما يخرج من البحر ، فلا يحرم عليهم شيء منه ، و إنما حرم الله تعالى على الرجال الذهب والحرير.) (وجمهور العلماء من السلف والخلف على تحريم اتخاذ الرجال خاتم الذهب)[٣] .

وماذا أصنع بالذهب إذا كان يُتاح لي أن أنظر إلى أجمل ما خلق الله على وجه الأرض : الجواد العربي الأصيل !!

هذا المخلوق المتناسق الخفيف الحركة ، وبخاصة إذا كان قاتم السواد أو ناصع البياض ، هو عنوان الجمال ، ورمز الجهاد ، حتى ليكاد حُبُه أن يكون سُنة إسلامية ودليلاً على نقاء الفطرة .

☐ **لذلك تنصرف التربية الدعوية في طورها الاستراكي المجدَّد أول ما تنصرف إلى إتقان الفروسية ، وترويج عشق الخيل ، والغرام بها ، كلما كان ذلك ممكنا ، فإنه الولَه التالد الطريف ،** و خَتَمها حديث " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " ، بختم الإيمان ، فمن لم يحز : فمقاربٌ ، وناظر ، يستعير الخير ، ويتصدى ، يتعرض لرجاء لعلّ وعسى ، فإن التشبّه بالكرام جميل ، **وفي ذلك نقل الشاب المسلم الصاعد إلى ميدان الرجولة ، والعزة ، في وقت يكون فيه من لوازم التطبيع ترويج الميوعة .**

وهل في الوجود أروع و أبهى من لوحة فنية واقعية حية ، تنظر فيها إلى فارس على ظهر جواد يَسْبح في الأفق تظلله الراية الخضراء ومن

---

(٢) تفسيره ٥٣/١٠ .
(٣) تفسيره ٥/١٠ .

خلفه شمسٌ حمراء عند بزوغها أو بدرٌ تمامٌ أول ارتفاعه ، ووميض السيف يلمع يدعو لالتحاق ؟

أغمض عينك هنيهة ، ثم تخيّل ذلك ، فسترجع جازماً أن تلك الحركات هي الجمال الآكد ، وأنها متعة الحياة حقاً .

❑ نحن في حضن الجمال

وما كان آكد منها إلا جمالٌ فاتنا أن نستمتع به ، وإنما استمتع به الصحابة ﷺ ، فقط ، وهو جمال النبي ﷺ ، وطلعته المنيرة البهية ، فقد اجتمعت معاني الجمال كلها فيه ، وفي وصف ابن حجر انه :
(كان على أكمل الصفات خَلقاً وخُلقاً ، فهو كل الكمال ، وجُل الجلال ، وجُملة الجمال ، عليه أفضل الصلاة والسلام .) [٤] .

لكن إنْ حُرم التابعون ومَن بعدهم من نعمة النظر الى وجهه الكريم ، فإنهم بإيمانهم قد عُوّضوا روحاً صافية وقلباً ساكناً وسِرّاً تغمره الطمأنينة ، فهم بذلك في إطلالة دائمة على آفاق الجمال الممتدة التي أنشأها الله تعالى ، وقد آتاهم ربهم ألباباً متوقدة تكشف عن جمال كامن في كل شيء لايراه غافل من أهل المعاصي ، فهم في لذة من ذلك على طول المدى ، وتسبيح .

ألم تنتبه كيف أن (الماء الذي من شأنه الرسوب يصعد بقدرة الله الواحد علام الغيوب من أسافل الشجرة الى أعاليها ، حتى إذا انتهى إلى آخرها نشأ فيها أوراقٌ ليست من جنسها ، وثمر خارج ، من صفته : الجرم الوافر ، واللون الزاهر ، والجَنَى الجديد ، والطعم اللذيذ ؟ فأين الطبائع وأجناسُها ، وأين الفلاسفة وُأناسُها ؟

هل في قدرة الطبيعة أن تتقن هذا الإتقان ، أوترتب هذا الترتيب العجيب !

كلا ! لايتم ذلك في العقول إلا لحيٍّ عالم قدير مُريدٍ ، فسبحان مَن له في كل شيء آية ونهاية !)[٥] .

{ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ } (الأنعام: ١٤١) .

---

(٤) فتح الباري ١٢٠/٥ .
(٥) للقرطبي في تفسيره ٦٥/٧ .

ثم هذا المنظر اليومي المتكرر الذي ينام عنه الغافلون الذين حُرموا نعمة الصلاة ، ولايراه الإموٴمن يصلي الفجر إذ غيره يغط في فقره القلبي : منظر طلوع الفجر ، وتسبيح الأطيار ، وبزوغ الشمس : كم هو آسر ، وقد اجتمعت أسرار الجمال فيه ، فتأخذ تُسبّح وتُنشد مع شاعر العراق الرصافي ....

ويومٌ به استيقظتُ من هجعة الكرى
وقدْ قدَّ دِرعَ الليل صمصامة الفجر
فأطربني والديكُ مُشجِ صياحه
ترنُمُ عصفور يزقزق في وكر
وقد طلعتْ شمس النهار بهيجة
رويداً رويداً في غلائلها الحمر
غدت ترسلُ الأنوار حتى كأنها
تُسيل على وجه الثرى ذائبَ التبر
إلى أن جلت في نورها رونق الضحى
صقيلاً وفي بحر الفضاء غدت تجري
وأهدت حياة في الشعاع جديدة
إلى حيوان الارض والنبتِ والزهر
فقلت مشيراً نحوها بحفاوةٍ
ألا إن هذا الشعر من أبدع الشعر (٦)

وهذه الروٴية الجمالية لانهاية لها عند من يملك الحس المرهف ورقاق العواطف ، وتنتقل به نشوته فوراً الى قصة أخرى مع البدر واستمتاع بمنظر جبال ، تريد أن تشمخ ، لكن هيبتها من خالقها تجعلها تنتصب على استحياء ، فيتوارى بعضها خلف بعض ، لكن السحاب يعلوها بفضول ، يبغي التعرف على سِرّ جمالها ، فتصيبه الشمس التي غابت من قريب بسهامها ، فيتضمخ ببعض دم أحمر ، فيثير جماله فضول المرج الأخضر ، فتكون متوالية الجمال الحُر يتأملها الإنسان الأسير ، أسير الجمال ، فينطق قلبه بتسبيح متجدد لرب قدير ، **وتلك هي لوحة الغلاف** .

❑ وفي كثبان الرمال خبر متمم ، حين تمتد تأبى التلاشي ، تشير الى اللانهاية ، كأنها ، في حَرّ لاهب يتيح لشعور العزة ان يَغْمُر ، فيغمر بدوياً

عند الدهناء ، أو جنوب الجزائر ، أو أعالي الصين ، **فتنضم معاني جمال المسرح الفسيح الى العفوية والزهد في الحيازة والتملك واللبث في مكان محصور ، فيضحى ُأستاذا في تعليم الحرية ، ويرى المالك فوقه سبحانه كبيراً إذ هو وجماله ليس غير نقطة صغيرة في بحر الكثبان الواسع ، فيُخبت ، ويكون داعية لإذعان .**

❑ ويظل تبادل المعاني بين الانسان ومحيطه يتجدد في صور ُأخرى ، وماصيّاد في البحر بأقل استلهاما لجمال أمواجه ، ُثمّ الماشي بين الزهور والفراشات أسرع إقراراً بقدرة الصانع الخلاق ، وللسماء في الليل هيبة ورهبة إذا رأيتها بعيداً عن المدن ، وألوان القوس الزاهية إذا مطرت وامتلأ الجو رطوبة ، ليس أجمل منها غير الشفق القطبي في قول مَن رآه.

❑ وكل هذا التجانس مع المنظر الجميل ، والعواطف المتولدة منه ، وانفتاح النفس الذي ينقلها الى السكينة : مغزى تربوي وضعه الله بين يدي الداعية ، ينبغي ان لايُعرض عنه ، بل يهذب نفسه عبر التأمل فيه وطول النظر الى أشكاله ، حتى إذا امتلأ وغمره إحساس الجمال : استزاد من جمال الهندسة الخلقية ، التي يسمونها : الطبيعية ، فنظر إلى البلورات ، ورأى أضلاعها الكثيرة ، ومثلثاتها المتناظرة ، ولمعات الضوء إذا عكسته ، وبلورات الثلج في تشعبها المُثنّى .

❑ واستدارة البدر وقرص الشمس جزء من هذه الهندسة ، تغرس في اللاشعور كل مقاييس الكُرة عبر طول التأمل ، من ثبات البُعد بين المركز والمحيط بخاصة ، وتدرّج الظل على السطح ، واستنارة النصف المواجه للضوء وإظلام المخفي ، **ثم الهالة ُتبدي الإعجاز الرياضي في تضاعف الحجم ثمان مرّاتٍ بمضاعفة نصف القطر مرة ، بمعنى تضاعف الحجم ٥١٢ مرة عند المضاعفة الثالثة لنصف قطر كان أصله وحدة قياس واحدة وهذا لوحده درس للإنسان المفكر يدربه على السيطرة على الحياة في مساحتها العظيمة وعرصاتها الممتدة من خلال السيطرة على رقعتها المركزية والكتلة البؤرية ، فيرجع المخطّط بخبر أملٍ يقين لقّنه إياه الجمال .**

❑ لكن تبقى الذرة أعجب ، لأنها ُكرة مفعمة بالحركات والدوران ونبضات الطاقة ، ثم هي متصاعدة في مكوناتها ومداراتها ، ويزيدها

الألكترون المفرد القلق في المدار الأخير قشعريرة ، فكأنها توحي بمعنى من الخشية يلزم أن تتحلى به علاقات الحياة يعادل الرجاء .

❑ إنما أعجب منها : جسم الانسان المتوازن ، وكفى إظهاراً للإبداع قوله تعالى : { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } ، فالأعضاء والأجهزة والقلب والوجه : كلها في تجانس في مكانها من الجسد ، وفي أدائها ، وتكاملها وتعاضدها ، **وأعجب منها : جمهرة العواطف التي أودعت في هذا الكيان الفريد وانتقالها في لحظة من حالٍ الى حال ، بأمر الله ، فإنه هو الذي يقول : { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى }** [٧] **إشارة الى هذه العجيبة العاطفية** ، فلما تنحدر نحو الودّ والحُب : فحينئذ يكون الجمال ، وتكون أصداؤه الايجابية في الروح معالم تربوية لمن أراد ان يذكر أو ينتقض أو يخشى ، **فإنّ معشوقته غادة هيفاء سمّاها حبيبها : حُرية ، صورتها في شعوره أنها حورية ، امتلأ يقيناً أنها إنْ سَقَطَ : ضَمّته إليها ، إذا شاء الله القران** .

❑ جماليات الموازين

❑ لكنّ أعجب من ذلك : **كُتلة العقل إذا اتقد فومض** ، فثمّ حشد من المعايير يترجمها المعماري الى أبعاد وزوايا ، وانطلاق يأبى الحصر ، واقتراب بعد النشر ، فتُصاغ في عقل الرائي المتعلم مقاييس الحياة كلها ، فكما بَعُدت آفاق الحساب بصفر وتسعة أرقام : تمتد لمعات الفكر بعشرة أحرف ، تمتزج وتتوالى وتتقدم وتتأخر فتكون ملحمة المنهجية الواعية .

- حرفها الأول : **التناظر بين شاخصين** ، عمودين أو ركنين أو شطرين أو رواقين أو جدارين أو عمارتين وانعكاس ذلك في صورة استقرار يرفض الفجائية والنشاز .
- يعضده **التعادل** : وهو منه قريب ، قربَ الصاد من السين ، وبه تدرك ميزان الواجهتين ، والطولين ، والعرضين ، والمساحتين .
- وفي **التناسب** إتمام ، وبه تدرك نسبة الحجمين ، وكم يجب أن يكون صغر الصغير وكبر الكبير إذا تجاورا أو تتاليا .
- ثم **التدرج** ، لضبط النقلات ، ونفي الصدمة .

---

(٧) سورة النجم /٤٣ .

- **والتوازي** ، لتحقيق الربط ، والتبعية ، ووحدة التحرك .
- **والتوازن** يمنح الثبات وعمق الارتكاز .
- **وفي التكامل إلغاء العفوية** ، والإرتجال ، وتحقيق لمعنى الشمول ، والاستقصاء ، والإحاطة ، فالذي في الساحة من مفردات محكوم بعلاقات بينية ، وروابط متبادلة تنتج كُلاً متجانسا .
- **لكنْ بضدها تتميز الأشياء** ، **ومثلما هناك** اجتماع تُزنه المعايير : هناك افتراق ، ونشر من بعد ضم ، وتوزع يعقب التقارب ، ولابد أن تسيطر على هذا الافتراق قوانين توزعه على المحيط تمنع التناثر العشوائي .
- وذلك يُبدي **أن التباين ضرورة** تستدعيها الحركة ، ولولاها يكون الجمود والسكون ، فلا نَمَطِيّة ، ولا وحدة مستغنية ، بل مفارقات الألوان والأشكال لازمة ، فالخط الأسود في الكتلة البيضاء فيه إعلان مولدهما معا ، إذ الأسود إذا فشا أشعرَ بحزن وانغلاق ، والأبيض إذا استطرد هام وحصل انفلات ، لكن السوار يأسر .
- وينضبط ذلك بميزان المركزية ، فإنها تضمن المرجعية ، فالنافر إذا ابتعد يظل يحن إليها ، والهاجر إذا انزوى يبقى مستحياً منها ، مثلما يحترمها القريب فلا يتطاول ولا يُعرض ، ويُنيبها كل شاخص مستقل في المدينة أو في البناء الواحد أن تحقق التنسيق بينه وبين المجموعة .

☐ فهذه الموازين المعمارية الجمالية العشرة تظل تطبع نفسها في لا شعور المؤمن المتعامل معها حتى تستوي " منطقاً " رفيعاً يضبط قول وفعل المستوعب لها ، وتغدو مورداً تربوياً تتألق به شخصية الداعية إذا نطق ، وإذا فكر ، وإذا أشار ، وإذا تحرك ، وإذا أحب وإذا أبغض ، فهو السوي الناضج الحكيم الفنّان ، لأنه ربيب الجمال ..... وكفى .

وأنا أعجب كيف يقسم الله الحظوظ و العقول والتربيات مثل قسمته الأرزاق والأموال ، فشاب يوفقه الله نحو باب الدعوة ، فتراه بعد موسم واحد وقد نَبُل ورفل بإيحاءات الجمال فصار رزناً ألمعياً واسع الأفق رصين المنطق ، بما روي له ودُرّب عليه من ميزان وتحليل ، وابن عمه شاب مثله أوهمته رُفقة البطالة ، فليس يبلغ ظنه أبعد من صَخَب مع صحب لهوهم الصراخ والضجيج ونفث الدُخان ، ويكبر وهو لا يعلم حرفين ...!

بينما الراقل بموازين العمارة يتلقى كل يوم المزيد من انعكاسات الجمال في صور إيجابية عديدة ..

- **في أخلاقه ، فتراه الوقور المعتدل الدائر مع الزّين والوسطية** في شأنه كله ، فلا مبالغة ولا شذوذ ولا تطرف ، بل هو السمح المتئد ، الودود البسّام .
- **وفي عزمه المستمر ورؤاه الممتدة ، فهو مخطط هادف** تضبط حركته وسكونه مناهج ومقادير ونسبيات ومنطلقات مركزية .
- **وفي أدائه وتنفيذه ، فهو متدرج ، يتوازى مع معطيات الواقع** ، وتلقنه الجماعية التكامل مع غيره .
- **وفي تفكيره ورأيه ، فهو مجتهد يركب متن الإبداع** ، وتعاف نفسه التقليد والمحاكاة ، والاجتهاد أفضل حالات الفكر ، والكبوة لازمة ، لكنها لا تضر ، لأنها كبحة السائر إذا عجل ، لا عثرة الملتفت الغافل ، ثم القواعد الأصولية ترعاه أن يشطح .

❑ في الحرف والرمز والتجريد....... هوية وتفقيه سديد

❑ فلما ذاق جيل الحضارة الاسلامية الأول هذه المنح : دعوا لتوغل ومزيد ، ففتح ابن البّواب ببغداد الباب ، وثنّى بالكوفة رجال فطوروا مابدأه سلف لهم ، فكان الخط العربي مورداً ثالثاً لإشباع النفس الإيمانية بالمعاني الفنية وضبط أدائها بمقاييس الجمال .

❑ والتطوير المعاصر الذي طرأ عليه باستعمال الحرف ضمن معطيات الفن التشكيلي يفتح المجال لنقلة جمالية واسعة ، ماتوفر منها اليوم - وهو كثير - ليس إلا مقدمات وأمثلة ، ويمكن أن تتأسس مدرسة خاصة من ذلك ستطبع الحياة الاسلامية عامة بطابعها الخاص ، وأنا مع هذا التوجه الحُر ، ولست مع الخطاطين الأصوليين في تشنجهم الذي يمنع هذه الاستعارات ، والفرصة المتاحة في مثل هذا النوع من استعمال درجات الألوان كلها في الحرف نفسه أوفي الخلفية المبرزة له تضاعف كمية الجمال وتمنح الفنان مجالاً واسعاً للابداع ، **وفي هذه الأيام تمتزج الثقافات ، وهناك تخوف من أن تطغى ثقافة القوي الغريب على قطاع من أناس أمتنا الاسلامية فيهم ضعف وقابلية للتأثر بالذوق الهاجم ، ويلزمنا أن نعدد وسائل حماية الشخصية الإسلامية العامة ، التي هي ضرورة من ضرورات عصر**

صـراع الحضـارات الـذي يقـود الغربُ الفكـر الصـراعي فيه ، ومدرسـة استعمال الحرف العربـي في الفن التشكيـلي وسيـلة مـن هذه الوسـائل جزماً ، ولها إملاء نفسي في دواخل المسلم الناظر ، وصدى ، وإذا شاعت فـي الشـوارع و القاعـات العامـة واستخدمها المعمـاري بـنجاح فـي أبنيتـه ومداخلهـا فإنهـا سـتؤثر حـتماً فـي لاشـعور المـارة والمتعامليـن وجمهـور المستخدمين لتلك الأبنية ، وتكون " **فنـاً واعظاً** " يحفظ شخصية المسلم واستقلاليته يـردف كـلام الخطيب الواعظ وأشعاره ، ونحـن كدعـاة بحاجـة إلـى وعـي أهميـة هذا المدرك مـن **مدارك التربيـة الجماهيرية التـي هـي مقدمـة للتربيةالإسلامية التخصيصية التي تسبق التربية الدعوية** ، فلولا آمن بذلك رجعي ووعى . وأما الخط العربـي الأصيل في شكله الموروث فأنـا مـن عُشـاقه ولسـت فيه مـن الزاهدين ، وجعلنـي طـول النظر إليه " ذوّاقـة " ونـاقدا ، وهو أحد مُتع الحياة ، ومـا أراه سيتضـرر مـن مدرسـة اسـتعمال الحَرْف ، بـل سيبقى مـورداً جماليا متميزا ، وهـو الـذي يـتكفل بتحريك قابلية الإبداع في رجال مدرسة الحَرف .

☐ والزخرفة الإسـلامية مورد آخر ، وقد تداولتها كل الحضارات ، ولكن الحضـارة الاسلامية ركّزت عليها وتوسعت فيها فحصل إبداع في أشكالها ، ويذهـب بعض النقّاد إلى أن تكرر وحداتها المتماثلة إلى مالانهاية يشير إلى معنى توحيد الله ، وأرى ذلك استعارة فلسفية لايألفها الكلام العقيدي ، ولكن أولـى أن يُقال : إن تكررها اللانهائـي يفتح النفس ويذهب بها إلىآفاق بعيدة فتسكن وتطمئن ، فيتحرك في داخلها المنطق الفطري ، فتكتشف التوحيد ، ويسـاعد اللـون الهـادىء علـى ذلـك فيما أرى ، وأمـا الألـوان الفاقعـة ففيها إزعاج تضـطرب الـنفس معـه ربمـا ، والزخرفـة المفرغة التـي تتكون من حدود خطوط النجوم والأشكال على خلفية واحدة أكثر إشعاراً بهذا الهدوء وأقرب إلى المذهب الايماني ، مما يكون في أعمال الجص وأعمال الخشب التـي تسـتثمر اختلاف ألـوان أنـواع الخشـب دون إضـافة لـون صبغي ، وقد نصل الـى تأثير فنـي رفيع إذا جعلنا مثل هذه الزخرفة خلفية وإطاراً لخط عربـي رفيع المستوى تبدعه أنامل ُأستاذ متقن ، والثّلث منه بخاصة ، بما يتيح من تركيب وتداخل ، **وألفات تشمخ واقفة ، تذكّرك سُيوف الجهـاد تـتدلى مـن أواسـط نفـر شـجعان ضـمهم صـف الصـلاة** ، وعـيون تبـتهل وحـاءات تفهمك فقه السجود .

فـالوحـة المرسومة مورد فنـي إيمانـي خـامس يُثبّتُ المعاني في أعماق النفوس بالإيحـاء والتمثيل والتقريـب ، لكـن الإنسـان يخـدع نفسـه أحيانـاً ، فيأخذ يعبد الصورة التي رسمها ، أو يزعم أنها تقربه الى الله زُلفى ، ولذلك حَرّم الله تصوير ذي الروح من إنسان وحيوان ، ولما في ذلك من مضاهاة ماخلق الله تعالى ، وأحرى بنا وأستر لنا أن نخرج من الشك والشبهة الى الحلال واليقين بأن لانقترف تصويرهما ، لكن ذلك لايعني انغلاق باب الإستفادة الإيمانية من التصوير ، فإن ماهو مقطوع الرأس جائز إن شاء الله ، كما في فتوى أبي هريرة ﷺ في صحيح البخاري ، فنصور اليد والرجل والجزء من الجسد ، **ثم ماهو أرحب من ذلك : التجريد ، بأن نشير الى الإنسان عبر شكل مجرد ، من خط أو كتلة ليست فيها المضاهاة ، وبذلك ينفتح لنا مجال واسع من الإيماء الى المعنى بالرمز والإشارة والإستعارة والتشبيه ، وهذا أسلوب شرعي مؤكد** ، حلاله بيّنٌ جزماً لايترك أي مجال لحرج أو وسوسة أبداً ، والدليل الشرعي فيه : الخط الذي خطه النبي ﷺ داخل المربع وقوله : هذا الانسان ، وخط خطاً بعيداً رامزاً للأمل ، فكانت لوحة **حصار الأمل** الواعظة بكل المعاني الرقاق وليس فيها حرام .

وقد توسع الفن العالمي الحديث والمعاصر في استعارة هذه الإيماءات التجريدية حتى اكتملت مدرسة تامة في الفن التجريدي هي الأطغى ربما هذا اليوم ، وفي ظني أن شيوعها يمكن أن يكون تمهيداً جيداً يذلل الأذواق ويروضَها **ويُليِنها لقبول مدرسة تجريدية إسلامية** يبشر الدعاة عبرها بالمعاني الحُرة كلها فيكون الفن لفكرنا رديفاً ، يوضحه ويروج له ، ويُحدثُ بإخفاء بعض المعنى والإعلان عن بعض " **دغدغات نفسية** " أدركها الرازي قبل تسعمائة سنة ويذهل عنها جيل الدعوة الحاضر فلا يأتيها إلا قليلا ، و أُريد معي عشرة دعاة في كل قطر نتعاهد على توسيع استعمال هذه السُنّة النبوية واللمسات التجريدية و تأسيس مذهب فني إيماني جديد ليست حاجة النذارة الدعوية إليه بأقل من حاجتها لكتب المفكرين وإفتاءات الأصوليين ، ولنأطرنّ الدعاة بذلك على تذوق الفن أطرا ، ولنستلنهم من كل مفهوم عتيق سلا ، **والفن الجاهلي يتلاعب بالناس اليوم ، ولايقلل أضراره غير فن إسلامي مقابل يزاحمه .**

والرموز الإسلامية التي هي في الاستخدام الفعلي الناجح كثيرة ، وقد اعتادها المؤمنون ، و بذل الروّاد الاوائل في ترويجها جهداً طيباً ، ويمكن أن تكون قاعدة لانطلاق عمل فني أوسع .

فمن هذه الرموز :

● **الهلال** ، حتى أضحى شعار الإسلام مُذ اختارته الدولة العثمانية لبيارقها ولمعت البوارق تحته .

● **والبدر الكامل** المستدير الأصفر الذي يومئ إلى التمام والوضوح والاستبشار والنفس المطمئنة بالإيمان .

● **والشمس المتوهجة** ، مكمن الحرارة العاطفية ، ودليل انتهاء ليل المحن ، وعنوان جوازم الشرع ونور الفكر .

● **والشمعة** ، زميلة كل عالم ، ورمز الصبر على لأواء الكتابة التي لايكفيها النهار الطويلُ حتى تستطرد مع الليل .

● **والمحراب** معتكف القانتين ومنزل الصالحين ، وفي تجويفه الأصم ينقطع الطريق على الشيطان أن يأتي مواجهة من أمام ، فيلتف يحاول الإندساس من جنب أو وراء .

● **والمنبر** ، رمز الإستعلاء والإستعلان ، الذي لايعترف بمساررة واستخفاء ، بل يصدع ، ويجعل له وظيفةً : تمكين صاحب الحق أن يصدح ، ثم **هو إيماء إلى الفكر المركزي الرسمي لجماعة المسلمين ، الذي لا يستبد به تأويل وإغراب وابتداع وتعطيل** .

● **والمنارة** تنتصب تترجم الكبرياء ، ومنها تنطلق تحديات التكبير ، وتوصل صوت التوحيد وإعلان البراء إلى المدى الأقصى .

● وتحت **القُبة** الضامّة لقلوب المؤمنين في أكناف حنانها تلقين لأنصار الدين أن يُقدموا الولاء ، لذلك كان المذهب الصحيح فيها أن تكون عريضة رحبة الاستدارة ، لأن رحمة الله واسعة ، ويخطئ من يضيّق القباب ويغفل عن حقيقة احتضانها للذاكرين .

● **والرّحلة حاملة القرآن** رمز آخر يُفصح عن إلحاق الوسيلة الطاهرة بالغاية الشريفة وتكاملهما .

● **والقرآن وحده ، مفتوحاً أو مودعاً في غلافه** : يشير الى كتلة الحق وتميّزها واستقلالها ، ومكانتها العزيزة التي تأبى الإختلاط .

والمنطقي يأبى أن تكون **المسبحة** رمزا ، ولتمريرها وجه ، إذ الفن يتقبل مالا تحتمل الأحكام والسُنن .

- **والنافذة المزخرفة** تقترن بمعنى الإيمان جزماً ، لأنها جزء من المسجد ، أو جزء من بناء اسلامي ، فتشير بذلك الى الحضور الحضاري.
- أما النفير الجهادي : **فالراية تُظل الجموع الزاحفة** ، وقد تلوح رؤوس الحرابِ ، تلمع بين الروابي ، تقول للأم القلقة أنْ إن لم نعودا : هذي طريق الجدودا : هيّا كِرامٌ للجهادِ ، هيّا ، هيّا هيّا هيّا...هيّ....هيّا دعاةُ للعنادِ .
- لكن **السيف يؤكد العزم** ، و السيف المضمخ شاهد على ممارسةِ واستجابة ، وفيه وقع جميع حروف الحسام الفيصل الصارم ، بتّار الخطأ ، وقاصم الأوهام.
- **و السهام والقوس شعار القوة** ، " ألا إن القوّة الرمي " ، كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي سرعة السهم إيماء الى سُنّة إمضاء القول الإيماني ونبرته الجازمة ، وإنكار الإبطاء والتمريض والمشي على استحياء .
- **وفي التُرس والدرقة إشارة إلى الدفاع** ، وأننا لانعتدي ، بل يُعتدى علينا فنضطر لِذودِ ، ثُم معنى الحذر والإنتباه والأخذ بالأسباب الذي هو أصلٌ في عقيدتنا ومَعْلمٌ في وعينا في الزمن الحرج بخاصة ، فإن التربّص بالمسلمين قد تجاوز الحدّ وظهرَ ثمّ إلحاح ، واجتمعت الأمم الضالة على أمة الهداية ، ويريدونه صراع حضارات ، **ولن يكون الحذر صيحة عاطفية وأعمالاً تخريبية ثأرية ، وإنما مشروعاً حضارياً شاملا ، على بينة من أمر السياسة والإقتصاد والنفط والثقافة ، ثم الأدب ...... والفن الإيماني البديل .**

هذه هي جمهرة الرموز الفنية الاسلامية ، وأظن أن لوحة " المنطلق " كانت استخداماً ناجحاً لعدد منها .

❑ والفنان المسلم يمكنه أن يُزاوج بين عدد من هذه الرموز لتشكيل معنى جامع تتعاضد مكوناته الجزئية في تكوينه ، كالجمع بين السيف والراية ، والجمع بين المنبر والمحراب والنافذة ، ثم يخلط ذلك بكلمات إسلامية شعارية ، مثل الشهادتين ، والتكبير ، فيتولد من ذلك تشكيل لامحدود ، تزيده البراعة في استخدام درجات الألوان تنوعا ، وإذا استعيرت له بعض

الوحدات الزخرفية : توسعُ المجال جداً ، ويضاعف التظليل المتدرج روح اللوحة .

☐ كذلك **يمكن مزج واقتران هذه الرموز الإسلامية برموز عامة أممية لاأجد حرجاً في اقتباسها ، مثل القيد والسلسلة وقضبان الحديد في الإشارة إلى الظلم والمحن والكبت** ، والكتاب المفتوح أو المغلق للإشارة إلى معنى العلم والمعرفيات ، وكذا المحبرة والقلم والريشة ، ثم الدولاب التُرسي الحديدي إشارة للصناعة ، فهذة رموز حُرة نفهم أن الإيمان فيها شريك .

☐ وتعداد الرمز الواحد في اللوحة الواحدة مصدر إثراء للمعنى احياناً ، واستعمال ظِل الرمز ، أو درجاتٍ من أظلاله ، وكذا تبعيضه واستخدام نصفه أوربعه ، فهذه تلاعبات يستطيع الفنان المبتكر أن ينطق بها الصامت ، ومثل ذلك ايضاً استخدام الدائرة والمثلث والمربع والأشكال الحرة ، والتكعيب بعامة .

وهذا يعني بقاء قابلية الترميز حُرة يحركها الأبداع ، وأوضح مثل لذلك في الفن الإسلامي المعاصر لوحة " **صناعة الحياة** " واستعارتي لجملة من المعاني المؤثرة خارج جمهرة الرمز الإيماني المألوف ، واجتماع الباب الهرم والقفل القديم والعتبة المنفطرة وآثار الأقدام الحازمة مع الكتاب والنور ودولاب الصناعة .

☐ وقد أضاف بيكاسو لمسات تجريدية يمكن استعارتها في الفن الإسلامي ، كمثل تغير الوظيفة للدلالة على المفارقة وحصول الإنحراف والبلوى وانقلاب الموازين ، ويتمثل ذلك عنده في العين الحولاء بخاصة ، أو العين في غير مكانها ، أو العين المقلوبة أو الجاحظة أو الحمراء ، ورمز بيكاسو أيضاً للقوة بقرن ثور ، ولعلها القوة الطائشة ، ويمكننا أن نتتبع مذهبه كله ، لننتقي ونأخذ وندع ، ونقلد ونبدع شيئاً من جنس مااقترف ، وهو انتقاء يمكن أن يستطرد ليفحص مذاهب فنانين آخرين .

- فكل تضارب لوني ناجح هو مورد لنا ، وما زالت البقعة الحمراء في المحيط الأبيض الواسع أدل دليل بتضاربها ووضوحها على معنى النشاز والتميز والإفتراق والمباينة والطلاق والتنافر .

ومثله التدرج اللوني الناجح المؤدي إلى سكينة الروح وهدوء الضمير ، وما في ثنايا ذلك من صلح وإصلاح وتناغم .

• والجزء من جسم الإنسان غير الرأس قد يكوّن وحدة تعبيرية تامة تؤدي مهمة الإبلاغ الكامل للمعنى ، مثل يد مكبلة تُدخِلُ في رُوْعِ الناظر كل معنى الإرهاق والتقييد والعدوان وسلب الحقوق ومنع المشاركة وتفويت الإنطلاق مع الأقران والرفرفة مع السرب ، **أو رجل ترسف في أثقال الحديد لامجال لها لنفرة جهادية ونقلة وحركة وهرولة في السباق لأن العسيف المتعصف أراد لها الحصر وحجبها .**

• ويمكن توظيف جمهرة من المعاني عبر حركات إنسان ننظر إلى قفاه ولا نرى وجهه ، أظهرها الإدبار والإعراض والتولي ، وماقارب ذلك من معاني النكوص السلبي ، أو الزهد والربأ بالنفس عن مواطن الخنا والشبهة وما يوازي ذلك من أحاسيس الشمم الإيجابي ، واكتشف الفنان عبد القادر الريس في دُبي بُعداً بينياً فأومأ إلى جوانب مُدمن على المخدرات يستخفي خلف عمودٍ حياءً وهرباً وحرجا ، فاصطاد الإبداع بذلك من أطرافه واستوعبه وركزه في بقعة واحدة .

• وتندرج في هذا النسق والسياق الفني كل زاوية تشكل التقاء خطوط وتوالد أبعاد ، وهذا نظر لاحدود له يصنف في اللامتناهي ، ويُكسب الظلُ والنورُ المشهدَ والزاوية حركة ، وما أكثر **زوايا الجمال في التراثيات ، ويكاد يكون الانتباه لها وإحياء ما كَمُن فيها من روعة مذهباً فنياً إسلامياً معاصراً مستقلاً عن حديث الرمزيات** ، وعبدِ القادر الريس أحد أئمته ، ثم في كل بلدٍ مبدعٌ يستنطق أركان المساجد والقلاع والأسواق والرباطات والأسوار والأزقة ، وأبدع من جيل أساتذتي ببغداد في ذلك حافظ الدروبي وفاضل عباس ، ثم توسع الأمر ، فتعاقبت أجيال في العالم الاسلامي العريض ، وليس الذي منه في باكستان ، وإيران وتركيا وماليزيا واندونيسيا بأقل تفجيراً لمستقرات الوجدان مما يروج منه في أرض العرب ، والدعاة عن ذلك بمعزل ، وهم بحاجة الى توبة من نمط التخلف وتعمير روابطهم بهؤلاء الفنانين وبإنتاجهم ، لا كما فعل المربي الرجعي في الكويت قديماً يوم أتاه أخي الفنان المبدع حامد ملا حسين سائلاً التربية الدعوية ، وكان قد استوى عُوْدُه الفني وأُقيمت له معارض ورؤي له مستقبل واعد ، فنصحه أن يترك مازعم أنه شغل الفضول ، وأتلفه ، وأتلف

فرصة الدعوة في الاستفادة من إبداعه ، ثم حاولتُ الاستدراك ، لكني وصلت متأخراً بعد أن بردت الأحاسيس الفنية فيه ، ومددتُ يدي ، فكادت ، لكن أبعدته تلقينات الوهم .

❑ ومضة العدسة ورنّة الإزميل تُعلنان الفكر الأصيل

❑ ويستقيم النحت كمورد فني سادس من موارد الفن الاسلامي ، ونحت ذي الروح حرام في الشرع ، تضييقاً على الشرك أن يجد له إلينا مدخلا ، لكن **يبقى النحت التجريدي الرمزي الحر دائراً في دوائر الحلال إن شاء الله** ، وتبقى قوته التعبيرية ، بل هي قوة مضاعفة إذا طردنا مقياس الفخر الرازي في سر قوة المجاز من أن الجزء المستور من الشيء أدعى إلى أن يثير التطلع لمعرفته .

❑ وتتفرع عن النحت : تركيبات من الأشكال الهندسية المنظمة الحجمية ، التي تتكون من بينها علاقات لاحدود لها ، مما يستعمل اليوم في تقاطعات الشوارع وجوانبها وأمام الأبنية وفي الحدائق العامة .

- فمن ذلك **التناثر ثم الإلتئام** بين مكعبات متعاكسة بأحجام مختلفة ، أو كرات بأحجام متدرجة ، أو أي شكل هندسي آخر تجتمع وحدات منه في تركيب واحد ويكون عنصر التحريك المعنوي فيه اختلاف الأحجام .
- أو **الجمع بين الأنواع يكون هو عامل التحريك** ، فهرم مع مكعب مع كرة مع اسطوانة فى تشكيل واحد .
- **أو يكون عامل التحريك القطع** ، فالكرة ينثلم منها ثُمنها مثلاً ، وكذا يُزال من المكعب ثُمنه ، ويدخل نصف كرة في داخل الشكل الهرمي ويبقى نصفها الآخر خارجاً ، إلى **ما لانهاية من التداخلات وتبادل المواضع** .
- أو تشكيلات الخطوط المستقيمة وتقاطعها **وتشكيل مفصل بوري منها** ، ثم إعادة الحركة بانحنائها والتفافها .
- **أو الإلتواء ثم التعانق بين صفيحتين** ، وتوازيهما وتساميهما إلى أعلى فى إشارة إلى المعاني الرفيعة العزيزة .
- والأشرعة المثلثة المتوازية المتوالية في إظهار الإرتباط بالبحر .

- والقواعد العريضة التي تستدق في الأعلى لتحمل رمزا .

كل ذلك كان جميله عند النفس مقبولاً ومُربياً لأعماق الشعور الظاهر واللاشعور الباطن .

☐ لكن كل شكل مألوف من الأواني والآلات يمكن أن يجتمع لإبلاغ معنى فيه بشارة أو نذارة .

- فعشرة جرار مثلا يتدفق منها الماء ترمز إلى الخصب والخير .
- **وغابة من سيوف لامعة مائلة تحملها أكفّ تتكفل بإحياء فقه الجهاد ،** وترمز الى مناقب سَلَفٍ شجاع فتح البلاد وأرسى فيها التوحيد من بعد وثنية وشرك .

وأنت ولي إتمام المعاني واستنباط الرموز ، وإنما ضربنا لك الأمثال لتجتهد ، ولن ينفعك الاستطراد في وصف ما يمكن ، لأنه يخرجك إلى تقليد ، والفن يكرهه كمثل كراهة الشرع له .

☐ وتفتح الكامرا مجالا واسعاً لفن إسلامي سابع ، **وقضية حُكم الشرع في التصوير الفوتوغرافي قضية تجاوزها الزمن** ، وإنما هي مثل نظر بمرآة استدام وحفظه الفلم ، ويمكن تسميته " العكس " كما هو في اللغة الفارسية ، ليزول الإشكال ، وكان فضيلة الشيخ القدوة ابن عثيمين رحمه الله قد استدرك قبل موته وأفتى بحل التصوير وارتفاع الحرج ، وهو رأس العلماء ، وقوله يُنهي الجدل .

مصدر السعة يكمن في أننا نستطيع عبر الكامرا تصوير الانسان وكل ذي روح ، وبذلك ينفتح مجال استنطاق جميع مشاهد الحياة لتفحص عما فيها من دروس ومعانٍ وعِبَر إيمانية أو فطرية أو أي مغزى إيجابي يلتقي مع حقائق الإيمان ، وهنا تتدخل براعة الفنان في اختيار الزاوية التي يلتقط منها المشهد ، ودرجة الظل ، وتوزع الأشخاص أو الأشكال في المساحة ، ثم الاستعمال الجيد لأنواع مصافي الضوء (الفلتر) ، ثم تركيب صورة من صورتين أو أكثر ، وبرنامج الكومبيوتر يتيح للإبداع أن يظهر عبر تدرج الظل والتراكب والتصغير والتكبير ، وبخاصة عند استخدام برنامج الماكنتوش الذي هو أدق وأوفر في البدائل والإمكانيات ، **وبالإمكان إحداث**

ثورة فنية إسلامية اليوم ننشرها عبر الانترنت والملصقات والمجلات تظاهر الثورة الفكرية الإيمانية المعاصرة وتعضدها ، فيكون العطاء التربوي لها في جمهور المسلمين مقدمة لتحوّل في الوجهة والموقف والأذواق والأخلاق ينقل الدعوة إلى مستقبل تفوقي حاسم باسم .

ليس تصوير الإنسان فقط ، بل في الحَجَر والأدوات والجوامد مواعظ تكون قيمتها في أنها حقيقة ليست من تلاعبات يد الفنان وتغريرات الألوان ، مثل بابٍ عتيق قد تفطّر بعض لوحها أو انكسر تشكو آثار السنين ، وقفلٍ قديم ما عادت به طاقة لحراسة ومنع قد استنزف الصدأ قوته ، أو اقواس رواقٍ طويل في تتاليها ، أو حبّة انفلقت عن خضرة في شق صخرة صلداء تؤكد رغبتها في الحياة وتتحدى ، تنتظر رحمة الله تنزل إليها من السماء وإن جف المحيط .

فتلك سبعة روافد تجعلك فيما أظن نديّا .

وتلك هي قصة الفن إذا ركع .... وسجد .

❑ بل كل الفعال .... ميزانها الجمال

لكن الإمام القرطبي يخبرنا أن علماء الأمة **يذهبون في فهم الجمال إلى أبعد من تمثله بالخلقة** وآفاق البر والبحر والبدر ، فيقول : (قال علماؤنا : الجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة .

ويكون في الأخلاق الباطنة .

ويكون في الأفعال .

- **فأما جمال الخلقة** : فهو أمر يدركه البَصَر ويلقيه إلى القلب متلائما ، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحدٍ من البشَر .
- **وأما جمال الأخلاق** : فكونها على الصفات المحمودة ، من العلم والحكمة والعدل والعفّة ، وكظم الغيظ ، وإرادة الخير لكل أحد .
- **وأما جمال الأفعال** فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق ، وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف الشر عنهم .) [٨] .

---

(٨) تفسير القرطبي ٤٧/١٠ عند آية سورة النحل السادسة .

وهذا الانتباه ما جاء عن تكلف ، وإنما الذي يرقق الإيمانُ أحاسيسَه ويقوّم موازينَه يشرع يُدرك أن كتلة الجمال في العالم واحدة ، وأن الذي خلق الخلائق هو الذي خلق أفعالها كذلك ، فمنها حَسَنٌ وقبيح ، وبينهما قلبٌ جلي ينبض ، أو منكوس غلّفه الرَين أسود مُجخّيا تنهكه الوساوس ونوايا السوء .

ثم هو المنهج الرباني في تشبيه الكلمة الطيبة ، التي هي عنوان الأخلاق وصلاح القلب ، بالشجرة الطيبة ، فقام الرباط ، واتسع المفهوم ، وتأسست العلاقة ، وذلك قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (٩).

وقد تعددت أقوال المفسرين أنها النخلة .

(فالإيمان ثابت في قلب المؤمن ، وعمله وقوله وتسبيحه عالٍ مرتفع في السماء ارتفاع فروع النخلة ، وما يكسب من بركة الإيمان وثوابه كما يُنال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها ، من الرُطب والبُسر والبلح والزهو والتمر والطلع .)(١٠) .

والمنطق في ذلك ، والأصل الجامع : الحب الأخوي في الله تعالى بين المؤمنين ، وهو بين الدعاة أخص وأعمق ، وكان الرعيل الأول من رجال الدعوة المباركة أشد حرصاً على بذله بينهم ، وأكثر انفعالاً به ، وترجمة له في يومياتهم ، مما جعل الأستاذ سعيد رمضان رحمة الله عليه يطيل التغني به في آخر تذكرة كتبها قبل موته لرواد المركز الإسلامي في جنيف ، واستوقفه كيف أن النبي ﷺ (يجعل عاطفة القلب في أداء حقوق الأخوّة أصلاً لا يتم الإيمان بدونه ، وليست فضلاً يتفضل به الأخ على أخيه ، فيقول : { لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه} ، متفق عليه . ومن المشاهد العذبة التي تستثير كوامن العاطفة وتوثق أواصر الحب ما ورد عنه ﷺ في قوله : " أن رجلاً زار أخاً له في الله ، فأرصد الله ملكاً فقال : أين تريد ؟ قال : أُريد أن أزور أخي فلانا . فقال : لحاجة لك عنده ؟

(٩) إبراهيم /٢٥ .
(١٠) للقرطبي في تفسيره ٢٣٧/٩ .

قال : لا . قال : فبمَ ؟ قال ُأحبه في الله . قال الملك : فإن الله أرسلني إليك بأنه يحبك لحبك إياه ، وقد أوجب لك الجنة . " . رواه مسلم .) .

قال رحمه الله : (أرأيت يا أخي كيف كانت " مادة الحب " في مدرسة الإسلام الأولى ، وفي ُأستاذها الأكبر صلوات الله وسلامه عليه ؟) .

(إن الحقائق الكبيرة التي بلغها رسول الله وربّى عليها جيله الأول هي وحدها الركائز التي يجب أن يقوم عليها مجتمعنا الجديد ، ولن يستقيم بغيرها طريق . إن الحق هو الحق ، والنفوس هي النفوس .) .

ثم تتفرع خصال الأخلاق الجميلة :

وأولها الحلم ، بعد العلم ، وإنما يأتيه من يتذوق الفن .
وذلك قول الشاعر :

العلمُ والحِلمُ ُخلتا كَرَمٍ
للمرء زينٌ إذا هُما اجتمعا
صنوان لا يُستَتَمُّ حُسنهما
إلا بجمع ذا وذاك معا [١١].

وأما أنا فأحبُ أن أرويه إذ نحن نمرح في آفاق الجمال :

الفنُّ والحِلمُ خُلتا كَرَمٍ ....

ومن تمام ذلك ُخـُلق العفو ، **ثم من تمام الصفح : أن لا تعود إلى ذكر جريرة من أخطأ معك بعد عفوك عنه** ، بل تقتدي بيوسف عليه السلام حين قال لإخوانه:{ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ} .

قال القرطبي : (ولم يقل : من الجُب ، استعمالاً للكرم لئلا يُذكّر أخوته صنيعهم بعد عفوه عنهم بقوله : لا تثريب عليكم .) .

ثم صحح القرطبي قول من قال : ذكر الجَفا في وقت الصفا : جفا .
قال : (وهو قول صحيح دل عليه الكتاب .) [١٢].

---

(١١) تفسير القرطبي ١٨٦/٩ .
(١٢) تفسير القرطبي ٩ /١٧٥ .

ومن جمال الأخلاق : الحياء ، وما يؤدي إليه من تواضع وخفض الجناح ، ويسر التعامل وطلاقة الوجه .

ونقل الدكتور سعيد رمضان رحمه الله وصف جرير بن عبد الله البجلي ﷺ لأنماط تعامل النبي ﷺ بقوله : (ما حجبني رسول الله ﷺ قط منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسم . وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حُجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى في أقصى المدينة ، ويقبل عُذر المعتذر) .

ثم وصف أنس ﷺ لتواضع النبي ﷺ وقوله : (ما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يُرسلها الآخذ ، ولم يمد ركبته بين يدي جليسه قط ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ويُكرم مَن دخل عليه ، وربما بسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ، ويُكنّي أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه .)[١٣] .

وكان أئمة السلف على جانب عظيم من هذه الآداب التي بلغتهم ، وما نالوا مكانتهم في سيادة المسلمين إلا لأنهم تخرجوا من مدرسة الحب والحياء ، حتى إن الفضيل بن عياض رحمه الله يروي أنه وأقرانه ما كانوا يواجهون مشايخهم العلماء مواجهة ، لما هناك من حياء ويقول : (كنا نأتي المشيخة فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم ، فنجلس دونهم ونسترق السمع ، فإذا مَرّ الحديث : سألناهم إعادته وقيدناه .)[١٤] .

واليوم يتعلم الشاب ثلاث مسائل ، فيروح يعاند العلماء ويطيل الاعتراض ويرفع الصوت .

في حين أدركتُ بعض مشايخي يملكهم الحياء العياضي ، فيتواضعون لتلاميذهم إذ هم في مقام التمكن والامتلاء ، أي لأبعد من مذهب الفضيل وصحبه ، مبالغة في تعليم الحياء .

وذلك جعلني أفهم أن **الداعية المسلم في منزلة مستقلة ، فهو دون الملائكة ، ولكنه فوق العامة من الناس ، ولذلك لا تليق له إلا الرقة ،**

---

(١٣) نشرة عنوانها " مادتنا الحب " صادرة عن المركز الإسلامي في جنيف .
(١٤) تفسير القرطبي ١٩/١ .

وفرط الحساسية ، والنزاهة ، والجماليات المرهفة ، والعلويات ، واللفظ العذب الشعري ، وطرائق اللين ، حتى يكون أشد حياء من العذراء في خدرها .

وماشيتُ يوماً من الأيام شيخي **محمد بن حمد العَسَّافي** نتذاكر بعض حديث العلم ، وكان من أعيان الناس من أهل نجد الذين سكنوا مدينة الزبير قرب البصرة ، وكان أبوه رئيس التجار ببغداد في أواخر العهد العثماني ، وكنتُ شاباً في عمر أصغر أبنائه ، فأوصلنا الحديث إلى ذكر أبي هلال العسكري اللغوي ، وفقره وعفافه ، ورويتُ بيت شعره المشهور الذي يهجو به كل الناس لعدم التفاتهم إلى فضله واضطراره إلى أن ينزل السوق يبيع البقول ليعيش ، فقلت :

الأمر أيها الشيخ كما قال أبو هلال :

جلوسي في السوق أبيع بقلاً
دليل على أن الأنام قرود

هكذا ، على طريقة شاب مستعجل لم يكتمل علمه ، إذ البيت غير موزون ، وكان بإمكان الشيخ أن يردني ويقول : أخطأتَ ، ويربكني ، ولكنه كان رحمه الله عالي الأخلاق ، فقال في تواضع :

هذه روايتك ، أما أنا فأرويه :

جلوسي في السوق أبيع واشتري
دليل على أن الأنام قرود

فانتبهت إلى ورطتي ، لكني انتبهت أيضاً في نفس الوقت إلى عذوبة استدراكه ، ورفقه بي ، ومداراته التربوية ، وظلّ موقفه ذاك آسراً لي حتى الآن .

وهو بذلك التنبيه الرقيق يرسم للدعاة منهج الحوار وأدبه : **أن نختار من الألفاظ أجملها ، من غير استفزاز وإحراج وعدوان ، إذ التحديات إنما هي شغل الجاهلي ، ورفع الصوت والهيجان منكور عن أبناء الأسواق لا عن أبناء العوائل الرفيعة وأهل الأصول والنسب الشريف وسُمعة الخير والستر** ، والمفروض أن يتواصى المجتمع الدعوي كله بالحفاظ على هذا الأسلوب الراقي في التعامل والنقاش والرد والرفض ، فان الجدل الإيجابي

المثقف إنما هو ما كان على هذا السَنَن ، وعلامة نضج الداعية أن يبرأ من كل حرف غليظ ، ويكون مؤدباً حقاً في الزمن الشرس ، ثم يترحم معي على العسّافي ورهط المشايخ الذين علمونا ، وأتقنوا مهمتهم بوفاء ، عسى ولعل يكون منا التوريث واستمرار السند الرفيع .

- **ومن مكارم الأخلاق : بر الوالدين** ، والإنصات للآية الكريمة : {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}

قال القرطبي : (هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما) (وضرب خفض الجناح ونصبه مثلاً لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده . والذل هو اللين .) .

(فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة ، في أقواله وسكناته ونظره ، ولا يُحِدّ إليهما بصره ، فإن تلك هي نظرة الغاضب)[١٥] .

وقوله (من الرحمة) :
(لبيان الجنس ، أي أن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس ، لا بأن يكون ذلك استعمالا) .

قال تعالى :
{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً} .

(وهو تأديب عجيب وقول لطيف بديع ، أي لا تعرض عنهم إعراض مستهين ، عن ظهر الغنى والقدرة فتحرمهم ، وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند عجز يَعْرِض وعائق يعوق ، وأنت عند ذلك ترجو من الله سبحانه وتعالى فتح باب الخير لتتوصل به إلى مواساة السائل ، فإن قعد بك الحال : فقل لهم قولاً ميسورا) .

(أي أحسن القول وابسط العذر ، وادع لهم بسعة الرزق ، وقل : إذا وجدت فعلتُ وأكرمتُ)[١٦] .

---

(١٥) تفسير القرطبي ١٥٩/١٠ .
(١٦) تفسير القرطبي ١٦٢/١٠ .

و (عقوق الوالدين : مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما ، كما أن برّهما : موافقتهما على أغراضهما . وعلى هذا : إذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر : وجبت طاعتهما فيه ، إذا لم يكن ذلك الأمر معصية ، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله ، وكذلك إذا كان من قبيل المندوب .

وقد ذهب بعض الناس إلى أن أمرهما بالمباح يُصيّره في حق الولد مندوباً إليه ، وأمرهما بالمندوب يَزيده تأكيداً في نَدبيته) .

وللأم الحصة الراجحة من البر .

و(من الإحسان إليهما والبر بهما إذا لم يتعين الجهاد ألا يجاهد إلا بإذنهما).

و (من تمام برهما صلة أهل وُدهما) [١٧].

ولا تقل : تتولى مواعظ الداعية تعليمنا ما يتعلم الطفل في المدرسة الإبتدائية ، فإن العقوق موجود ، والصراحة حميدة ، فإن كنت باراً فاحمد الله أن هداك ، وبالغ .

• **ومن الرؤية الدعوية لجمال الأخلاق : الإنتباه إلى النسبية في معنى التعاون على البر والتقوى ، وأنه سبيل لتحصيل التكامل بين جهود** المسلمين ، كما نقل القرطبي عن الفقيه ابن خُويز منداد البصري المالكي انه قال في كتابه " الأحكام " :

(التعاون على البر والتقوى يكون بوجوه :

- فواجب العالم أن يُعين الناس بعلمه ، فيعلمهم .
- ويعينهم الغني بماله.
- والشجاع بشجاعته في سبيل الله .)[١٨] .

وعلى هذا المعنى قامت النظرية الدعوية الإسلامية المعاصرة ، وهو مكمن القوة والبركة في العمل الجماعي ، ولا يدرك ذلك تمام الإدراك إلا ممارس جرّب التنسيق واستثمار القابليات المختلفة في عمل موحد ،

---

(١٧) تفسير القرطبي ١٥٧/١٥٦/١٠ .
(١٨) تفسير القرطبي ٣٣/٦ .

والفردي من الصالحين مدعو لأن يثق بمن سلك قبله وجرّب فيلتحق ويعبر لمراده من الطريق الأقرب ، وذلك أن إنهاض الأمة ومصادمة الفساد تحتاج إلى محيط دائري تتوزع على نقاطه التخصصات الأربعين ، وتستقر في المركز مفاصل التنسيق ، وقد سمّى هذا الفقيه المالكي منهم ثلاثة : العالم ، والغني ، والمجاهد الشجاع ، وترك لنباهتك أن تتعرف على سبع وثلاثين ، فيهم الفنان ، والسياسي ، والإعلامي ، والمؤرخ ، والشاعر ، والمفكر ، والإغاثي ، والبرلماني ، والنقابي ، في آخرين ، ولن تحصل أماني الفردي على شيء من جهد أحدهم ، لكن التواصي بالبر والتقوى إذا انتظمته خطة فإنه حري أن يرضي التطلعات ويؤثر في الواقع ويُزيح ويحل وفقاً لمعادلات الفيزياء ، **فلتنفض على نفسك ، وتحرر من وهمك القديم ، ومن تخذيلاتٍ دعائيةٍ موجهةٍ أقعدتك عن الخير وأخرتك عن الواجب ، وطريق الإستدراك أن تعجّل الجلوس إلى جارك أو ابن عمك ، تطلب محلاً في الأرهاط الدائبة الأربعين** ، وسوف تجدنا غير غاشين لك ولغيرك ، ولن نعقد معك صفقة قبل أن تخبُر ما هنالك وتجرّب ، لكن كن حليماً ، واغفر لنا اللمم : تجد وراءه كبائر من الخير الصافي والتاريخ الناصع ، ثم الله يتولانا وإياك والمستدركين .

☐ لنفسيٍ تُقاها ....أو .... عليها فجورها

والموعظة دائمة لك أخي ...... أن تخرج من الشك إلى اليقين ، ومن الكسل إلى الحركة ، ومن الاعتزال إلى المخالطة ، ومن التفرّد إلى الجماعية ، فإنّ الحياة أضحت ذات تعقيد ، والنّاس في سباق ، يتنافسون ، **فانقل قدمك إلى عرصة الدعوة ليكون شيء من تعجيل ، فيحملك التيار بدل أن تكون الناني ، والأمر أبسط من أن تضع له شروطاً ، إنما هي عزمة فحسب** ، تعزمها فإذا أنت خَلقٌ آخر ، مباشرة ، هاءاً بهاء ، وتدخل حياةً ذات بهجة ومنهجية ووعي ، تتميز بصراطها الأعظم المستقيم .

وهذه النقلة ستساعد صاحبها بإذن الله على أن يحقق التحلي بجمال الأفعال ، الذي هو الشطر الثالث من معاقد الجمال ، بما في الحياة الجماعية من خيرات التواصي بالحق ومردود التعاون على البر .

- وجامع ذلك : **التقوى** .

ويسألني كثير من الدعاة عن تقصير في النوافل والسُنن يشعرون به ، زاحمتهم عليها الواجبات الدعوية الثقيلة ، وكثرة التحرك ، والإداريات والعلاقات العامة ، ويرغب هؤلاء أن يأنسوا بركعات أكثر ، وتلاوة أطول ، ولكنهم لا يستطيعون .

وكان جوابي دائماً أن المؤمن مطالب بأمرين :

- بالتعبد بعد الفرض ، والإكثار من السّنن ، وإطالة اللبث في المسجد .
- ثم هو مطالب ثانياً بالتقوى ، بكف نفسه عن المحرمات ، من الكبائر مثل الزنا والربا وعقوق الوالدين ، أو أنواع المعصية التي هي أصغر ، مثل مقدمات الكبائر ولواحقها، في أنواع كثيرة حتى تصل إلى قلة المبالاة بإسباغ الوضوء ، مثلا ، أو نبرة قاسية في الكلام ، أو تكبّر على مستضعف .
- **والذي أفهمه من قواعد الشرع ودلّت عليه تجربتي أن الأهم هو هذه التقوى التي يمتنع بها المؤمن عن مقاربة السوء ، وهي مقدمة على ممارسة النوافل وأثرها أعظم** ، والتوفيق الذي يرجوه الداعية في أعماله الدعوية أو في حياته الخاصة ، بحيث يصيب النجاح أو يتوسع له الرزق : إنما هو نتاج هذه التقوى غالباً ، وبها يُشاد الأساس ، ثم ترفع النوافل جدران توفيقه على هذا الأساس .

ولا تحسبنّ أن اكتشاف هذا الميزان جاء سهلاً سريعاً ، فإن كل مؤمن قد يقول ذلك ، ولكن درجة الإيمان بهذه الحقيقة تختلف ، وتظل قناعته تزداد حتى تتحول إلى يقين راسخ بجريان هذا الميزان وحكمه لحركات الحياة، فيكتشف بالتجربة اليومية أن الله يراقب عباده ، فيجازي المحسن والمسيء أولاً بأول ، وتحصل له قصص في ذلك على مدى ساعاته ، ما أن يحصل له سوء ويفحص سلوكه إلا ويجده متعلقاً بمعصية اقترفها من قريب ، أو فضل إلا ويجده من آثار امتناع عن معابة تحاشاها .

❑ الدعاة رموز الجمال

ومبحثنا جمالي ، ولذلك أحب أن أنتقي من أفعال الإيمان التي كلها جميلة المعنى أفعالاً تضع لمساتها الجمالية على شخصية الداعية مباشرة ، وقد يكون المؤمن في غفلة عنها ، أو يتوهم فضيلة ما يعاكسها ، على

... لا يرى في الإبتذال معنىً إيمانياً ، وينحرف بمفهوم "اخشوشنوا" ... لا يعرفه عُرف المؤمنين الذين هم باعة الجمال وأولياؤه وحُماته .

... حين ذكر البخاري السُنن في قصّ الشارب ، والسواك والإستنجاء وغسل الجمعة : قال ابن حجر :

(ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع ، منها : تحسين الهيئة ، وتنظيف البدن جملة وتفصيلا ، والاحتياط للطهارتين ، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة ، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعبّاد الأوثان ، وامتثال أمر الشارع ، و المحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى :{ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ } ، لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك ، وكأنه قيل : قد حسّنتُ صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها ، أو : حافظوا على ما يستمر به حسنها ، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة ، وعلى التآلف المطلوب ، لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه ، فيقبل قوله ، ويحمد رأيه ، والعكس بالعكس .)[١٩] .

وواضح أنه يدخل في ذلك جملة من السلوكيات الإجتماعية وأدب المجلس : فُيكره للداعية أن يهز رجله إذا كان جالساً على كرسي في درس أو اجتماع ويظل يهزها طويلاً ، فإن ذلك عيب ويقلق بقية الحاضرين ، وهي علامة على ضعف الشخصية وقلة الإنتباه وانشغال البال بأمر غير ما انعقد الدرس أو الإجتماع لأجله .

وكذا وضع رجل على أخرى بحضرة العالم والنبيل والرئيس ، فقد كان ذلك من المنكرات في الأجيال الماضية ، ثم أخذه الجيل الحاضر عن الأمريكان .

و" شفط " المشروب بإحداث صوت عيب ، وإذا علم الداعية عند خروجه من بيته صباحاً أنه سيمشي كثيراً خلال النهار ، فليأخذ معه جوربين آخرين يلبسهما حين اجتماع المساء وصلاة المغرب والعشاء ، لئلا يؤذي مَن هناك بالرائحة الكريهة .

---

(١٩) فتح الباري ٤٥٨/١٢ .

وفي التقرير الميداني بقية إرشاد لك .

- **والتجمل بالثوب الحسن من سُنن الايمان** ، يقول تعالى :
{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ }

وقد (دلت الآية على لبس الرفيع من الثياب ، والتجمل بها في الجُمع والأعياد وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان .
قال أبو العالية : كان المسلمون إذا تزاوروا تجمَّلوا .) .

(وكان مالك بن دينار يلبس الثياب العَدَنية الجياد ، وكان ثوب أحمد بن حنبل يُشترى بنحو الدينار .
أين هذا ممن يرغب عنه ويؤثر لباس الخشن من الكتان والصوف من الثياب ويقول : { ولباس التقوى ذلك خير } ؟
هيهات ! أترى من ذكرنا تركوا لباس التقوى ؟ لا والله ! بل هم أهل التقوى و ُأولو المعرفة والنُهى ، وغيرهم أهل دعوى .) [٢٠] .

بل وتزيين البيت أيضاً لمن استطاع ، والفقير منا إذا رأى آثار النعمة على أخيه يغبطه ولا يحسده ، ويعد ذلك إضافة جمالية للحياة الاسلامية لاينكر عليها لما فيها من تعليم موازين الاعتدال وتلقينها معاني السواء لأنفس الزائرين والناظرين ، ويدعو الله ويعزم أن إن رزقه مثل أخيه ليفعلن مثله ويضيف مَعلماً واعظاً لإخوانه وعموم الناس .

وتلك هي الإيماءة القرآنية في قوله تعالى :
{ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ } .

ونقل القرطبي عن ابن العربي قال :
(وهذا أمر انتشر في تلك الديار وعريت عنه بلادنا) أي انتشر في جزيرة العرب وما حولها و ُترك في المغرب .

قال : (فلا ُتضرب الأخبية عندنا إلا من الكتان والصوف ، وقد كان للنبي ﷺ ُقبة من أدم الطائف ، غلاءً في القيمة ، واعتلاءً في الصنعة ،

---

(٢٠) للقرطبي في تفسيره ١٢٦/٧ .

وحسناً في البشرة ، ولم يعدّ ذلك ترفاً ولا رآه سَرَفا ، لأنه مما أمتن الله سبحانه من نعمته و أذن فيه من متاعه ، وظهرت وجوه منفعته في الإكتنان والإستظلال الذي لايقدر على الخروج منه جنس الإنسان)[٢١].

• لكن ساكن هذا البيت الجميل أحرى أن يجمع الجمال من آفاقه ليتوافقا ، وإلا كان النشاز الفاضح ، وهو ما يميز بيوت الدعاة عن بيوت المترفين الغافلين .

وركن ذلك : المروءة ، وأقل وصف الجمال الأخلاقي : حيازة شرط العدالة التي يكون بها المسلم ثقة مقبول الرواية والشهادة ، ثم يزداد جمالاً إذا قبل الوظيفة الدعوية ، ثم يزداد إذا قدمه الدعاة وصدروه .

وقد عرّف الفخر الرازي العدالة بأنها : (هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً ، حتى تحصل ثقة النفس بصدقه .
ويعتبر فيها الاجتنابُ عن الكبائر ، وعن بعض الصغائر : كالتطفيف في الحبّة ، وسرقة باقة من البقل ، وعن المباحات القادحة في المروءة : كالأكل في الطريق ، والبول في الشارع ، وصحبة الأراذل ، والإفراط في المزاح .)[٢٢].

فانظر إضافة المروءة والتنزه عن بعض الصغائر إلى شروط التوثيق ، لتعلم مدى حساسية موازيننا الإيمانية ، وأننا لسنا كالناس ، بل أعلى من خمس وتسعين بالمائة منهم ، ونحن مع بعض الأفاضل من العابدين وأصحاب الأصول نمثل الصفوة ، ونحتل القمة ، لذلك نربأ بأنفسنا أن نرعى مع الهُمل ، ونتعفف عن كثير مما انغمسوا فيه ، **لأننا المرجع والمثل ورموز الجمال وبنا يقتدي أهل الهمم ، مما يحتم علينا أن نكون على صفاء ونقاء وأن نربّي من معنا على العزائم والأذواق الرفيعة ودقائق المعروف والتعامل الشفاف وأخلاق السادة ، مع الكرم والحلم واللسان الطاهر والكف الندي المفتوح ، وأن نعلّم الملتحق بنا مع أول خطوة أنه قد انتقل من كونه عامياً متساهلاً مع نفسه إلى مجتمع النخبة الراقية ، وأن عليه أن يتشدد ويراقب حركاته و سكناته .**

---

(٢١) للقرطبي في تفسيره .
(٢٢) المحصول في علم أصول الفقه ٣٩٩/٤ .

وكان الشاعر قد استعار لممدوحه لقب :

" خدين المعالي "

قال ابن حجر :

(والنكتة فيه أنه جعله يشتهي معالي الأمور كما يشتهي غيره الصورة الجميلة .)[٢٣] .

والخدين : الصاحب ، وليس إلا الداعية اليوم يستحق هذا اللقب ، إذ يحوم غيره حول السفليات ويرهن مستقبله الدنيوي والأخروي لدى مليحة من النساء لا تقوى لها ، تتبرج أو تلهيه عن عبادة وإصلاح وقضايا الأمة ، **بينما الداعية يحلق في الأوج يكاد يتناوش الثريا ، وله مع كل إشراقة شمس عزمة بناء وغزوة خير .**

ومكمن الحكمة هنا ، في مفاد هذا الظاهرة التي رصدها ابن حجر : **أن تصرّف الإنسان إزاء الجمال هو مثل تصرفه إزاء جميع النِعَم الربانية** التي خلقها الله لعباده ، فمنهم شاكر ومتبطر ، ومعترف ومنكِر ، فالجمال في نفس ذاته نعمة من أتم النعم ، وهو زيّن كله ، ويمنح صاحبه البهاء والطلعة المؤثرة التي تأسر المقابل وتدعه يحترم ويداري المثال الجمالي الذي ينتصب أمامه ، وإن رآه المرء في المخلوقات اطمأنت نفسه ودخل عليه سرور ، **فهو عامل من عوامل التربية النفسية بلا شك ، لكن نعمة الجمال هذه يمكن أن ينحرف بها أهل الهمم الواطئة ، فيتخذونها وسيلة لإشباع شهوة** ، ويصغرون معناها الكبير ، ويضيقون حقيقتها الواسعة ، ويخرجون بها إلى سلب إذ يليق الإيجاب ، ولربما ارتكبوا الظلم خلال ذلك .

فالجمال من معالم الهداية والموعظة والتربية ، لكن إنما يتعامل معه القلب السوي لا المقلوب ، وهذه الحقيقة ترجع بقضية الجمال إلى أن تكون قضية إيمانية محضة ، لا يؤهل للإمامة فيها والقيادة وإنشاد شِعرها والتغني بمضامينها غير مؤمن عامر الفؤاد نقي الجنان ، وأما الكافر والعاصي والجاهل والظالم فإنما يحومون في المحيط الأبعد ، ولا يستطيعون مقاربة مركز الجمال ، **إذ المركز حكر لمتألّه شكور .**

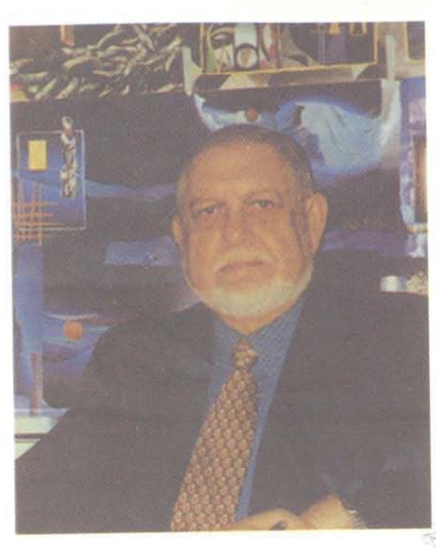
---

(٢٣) فتح الباري ١٧٦/١٥ .

- **فلولا رفع الدعاة أذان الجمال مع أذان التوحيد في العرصات .**

- ولولا وقف شامخاً جميلٌ من الدعاة عند كل ثنيّةٍ وسَفح وقمةٍ في آفاق الجمال الفسيحة الممتدة إلى غير نهاية يُعلّم الناس موازين الإيمان ويصلح القلوب والأذواق والأخلاق والعقول .

- **ولولا أدركت المنهجية الدعوية أن الله تعالى جميل ... يحب الجمال ....**



محمد أحمد الراشد

مفكر إسلامي عراقي من قادة حركة الإخوان المسلمين
العالمية وأحد قادة الحزب الإسلامي العراقي
ولد ببغداد في 1938/7/8
عمل محاميا ، ثم صحفيا، وتفرغ للعمل الدعوي
هاجر عام 1972الى الكويت ، ثم الى الإمارات
متخصص في حقل "فقه الدعوة الإسلاميه
ويدعو الى الشمول المعرفي والممارسه الحضاريه
عبر التربية الإبداعية والتخطيط والنشاط الدعوي
صدرت له بالعربيه أكثر من عشرة كتب ،من أهمها
المسار" وهو في التخطيط التنظيمي الدعوي وكذلك
العوائق والرقائق والمنطلق
يعكف الان على تدوين "موسوعة معالم التطور
الدعوي وتاريخ الجهاد في خمسة أجزاء و"حركة
الحياة" برسائل كثيرة ضمن سلسلة "مواعظ داعية

